الفصل الثاني

الإيقاع في المغرب العربي

نشأته وتكونه:

سوف نحاول وبشكل مختصر ومفيد أن تتحدث عن نشأته، نبدأها بأقوال التيفاشي القفصي (ت ١٧٢١ م): لم تكن الإيقاعات فيما تقدم مجنسة، وإنما جنّسها ابراهيم الموصلي (٨٠٤م)، ولقبها بهذه الألقاب وأعانه اسحاق الموصلي، وصنف هذا رسالته لما صنع والده. وقد كان للقدماء في إيقاعهم أسماء مخالفة لهذه الأسماء وتركيبات غير هذه. ولا فائدة في ذكر ما درس وانقرض، وليس في زماننا من يستعمله وهو يدل على أن المدرسة المغربية تكونت على الأسس نفسها التي تكونت منها المدرسة الأصلية، بل إنها بقيت محافظة عليها، في حين أن في المشرق العربي أُدخلت عليها طريقة محدثة أخذوها العجم والفرس. وفي القرن الثامن وجد في المغرب الأقصى في النغمات الثماني للبوعصامي (١٧٢١م) إحدى عشرة نوبة، والباقي أدرج فيها لتقارب النغمات. وقسم كل نغمة إلى أربعة أقسام أو موازين مثل البسيط والقائم والبطايحي والدارج. فهذه لا تدرك الفروق بينها إلا بالوزن.

قواعد الإيقاع المغربي:

يعتمد الإيقاع في المغرب العربي على القواعد نفسها التي يعتمدها الإيقاع في الموسيقا العربية الشرقية الأصيلة. وسوف نبين أهم هذه القواعد التي اعتمدها الإيقاع المغربي، وهي كالتالي:

الأصول:

تمثل عنصراً رئيساً في التراث المغربي.

الوزن:

وهـو أداه تنظـيم وقيـاس الأزمنـة في النغمـات. فهـو يقـسمها إلى مجموعـات متساوية متكررة مكوناً اللحن الموسيقي.

الإيقاع:

وهي (النبرات) الإيقاعية، المكون الأساس له.

الضرب:

يتكون من جملة ضربات قوية وضعيفة مختلفة النبرات، متوالية بنظام خاص بكل إيقاع بعد ضبط أزمنتها.

الدور:

وهو الطقم؛ لزوم أوله أخره وآخره أوله، وهو السيالة.

تكون النبرات والنقرات منتظمة ولها المدة الزمنية نفسها في الجملة الموسيقية لعدد من الإيقاعات.

الحشو:

يحتـوي علـى فنيـات عاليـة يقـوم بأدائهـا العـازف أو النـاقر وتكـون متعـددة ومتنوعة. ويقصد بالحشو: التعمير، أي يدخل العازف ما بوسعه من فنيات مناسبة لمقتضى الحال فيغني الجملة الموسيقية، ويضفي عليها جمالاً محبباً للناقر وللمتلقي.

بهذا نكون قد كونا فكرة موجزة عن نشأة وتكوين الإيقاع في المغرب العربي وتعرفنا على قواعده، وعرفنا كلاً منها على حدة. وما نلاحظه أنه يبنى على الأسس نفسها التي بنيت عليها البنية الإيقاعية في الشرق العربي، والسبب الرئيس برأيي هو وحدة الضاد التي لمت شمل العرب من المشرق إلى المغرب، وهذه اللغة التي ينطق بها سكان المشرق والمغرب كان لها الدور الأساسي في تكوين البنية مشتركة ذات صيغة فنية واحدة.